

الحلقة السادسة والثمانون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

هل إطعام الجسد وإشباعه مستمعي يكفي لكي نعيش حياة هنيئة؟ وهل الأمور المادية من جمع المال والسعي لاقتناء الممتلكات يجلب السعادة؟ وهل الركض وراء ملذات الجسد وشهواته يشبع الإنسان حقاً؟ أم أن هناك أمور أخرى غير مادية علينا أن نطلبها لكي نروي حياتنا ونشعر بالاكتمال؟

عندما كان المخلص المسيح على الأرض أجرى عجيبة إطعام الجموع من خمسة أرغفة شعير وسمكتان. فأطعم في هذه العجيبة خمسة آلاف رجل عدا النساء والأولاد. وفضل عنهم اثنتي عشرة قفة من الكيسر. ولما رأى الجموع هذه العجيبة أخذوا يلاحقون المسيح من مكان إلى آخر، حتى أنهم ركبوا السفن في بحيرة طبريا. وعندما وجدت الجموع المسيح قالوا له:

«يَا مُعَلِّمُ، مَتَى صِرْتَ هُنَا؟» أَجَابَهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: أَنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي لَيْسَ لِأَنَّكُمْ رَأَيْتُمْ آيَاتِي، بَلْ لِأَنَّكُمْ أَكَلْتُمْ مِنَ الْخُبْزِ فَشَبِعْتُمْ. اِعْمَلُوا لَا لِلطَّعَامِ الْبَائِدِ، بَلْ لِلطَّعَامِ الْبَاقِيِ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ الَّذِي يُعْطِيكُمْ ابْنُ الْإِنْسَانِ، لِأَنَّ هَذَا اللَّهُ الْآبَ قَدْ خْتَمَهُ». فَقَالُوا لَهُ: «مَاذَا نَفْعَلُ حَتَّى نَعْمَلَ أَعْمَالَ اللَّهِ؟» أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «هَذَا هُوَ عَمَلُ اللَّهِ: أَنْ تُؤْمِنُوا بِالَّذِي هُوَ أَرْسَلَهُ» (بشارة يوحنا ٦: ٢٦-٢٩). لقد علم المخلص المسيح أن هدف الجموع التي تلاحقه هو لكي يشبعهم من الطعام دائماً. سننأمل الآن بالحوار الهام الذي دار بين المخلص المسيح والجموع فابقوا معنا.

صديقي المستمع، لقد دعا المخلص المسيح الجموع أن لا يهتموا فقط بإشباع أجسادهم من الطعام البائد الزائل، بل عليهم أن يسعوا أيضاً لإشباع أرواحهم من الطعام الذي يبقى إلى الأبد، هذا الطعام الروحي الذي يوفره لهم ابن الإنسان، أي المخلص المسيح. مع العلم أن هذا الطعام الروحي هو الذي ختمه الله الآب، أي صادق عليه وهو الذي يطلبه. وعندما سأل الجموع المسيح:

«مَاذَا نَفْعَلُ حَتَّى نَعْمَلَ أَعْمَالَ اللَّهِ؟». أي ماذا نفعل لكي نحصل على هذا الطعام الروحي؟ أجابهم المسيح قائلاً: «هَذَا هُوَ عَمَلُ اللَّهِ: أَنْ تُؤْمِنُوا بِالَّذِي هُوَ أَرْسَلَهُ».

أجل، إن أعظم عمل يقوم به الإنسان إطاعة الله يكون بأن يؤمن بالمسيح الذي أرسله. فهو المخلص الوحيد الذي أرسله الله لكي يوفر للبشر جميعاً الخلاص الكامل. وهو الوسيلة الوحيدة التي تجعل المرء يحصل على الطعام الروحي الذي يُشبع الروح والقلب من الداخل. نعم، لم يكن هدف المخلص المسيح من مجيئه إلى عالمنا هو تسديد حاجات الجسد المادية المتنوعة من طعام وشفاء للمرضى وإقامة للموتى، مع أنه فعل كل هذا عندما كان على الأرض. لكن كان له هدف أعظم وأسمى من ذلك بكثير، هو هدف تحرير الإنسان من عبودية الخطيئة وإرواء روحه من الداخل.

يخبرنا الإنجيل المقدس أن المسيح ذهب إلى البرية، وبعدها صام أربعين يوماً وأربعين ليلة جاع أخيراً. فتقدم إليه المجرّب أي إبليس وقال له: «إِنْ كُنْتَ ابْنُ اللَّهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هَذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزاً». فَأَجَابَ الْمَسِيحُ وَقَالَ لَهُ: «مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ» (بشارة متى ٤: ٣-٤). أجل: «لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ». إن الخبز يقيت جسد الإنسان فقط، بينما نحن بحاجة أيضاً إلى من يقيت أرواحنا من الداخل. ولا يوجد من يشبعها سوى كلمة الله الحيّة. والمسيح نفسه هو كلمة الله الحيّة الذي أتى إلى العالم، ولهذا علينا أن نؤمن به لكي نحصل على الطعام الروحي الذي يبقى إلى الأبد.

مستمعي الكريم، هل تعلم أن الأمور المادية لا ولن تشبع أو تروي الإنسان؟ فكم من إنسان غني يجد نفسه تعبساً ولا يعرف معنى السعادة والراحة. وكم من إنسان ركض وراء شهوات الجسد وملذّاته فلم يحصد إلا المرارة والبؤس والشقاء. وكم من إنسان توفّر له الطعام لكنه لا يستطيع أن يأكله بسبب أمراضه الكثيرة. إن جميع هذه الأمور المادية لا تروي غليل الإنسان، ولا تعطيه الراحة التي يسعى إليها. ولهذا نجد البشر يسعون ويركضون وراء السراب. كالذي يجري في الصحراء ويظن أنه قد وجد الماء الذي يروي غليله، فإذا به مجرد سراب، فيموت من العطش.

لكن عندما يأتي الإنسان إلى المخلص المسيح ويؤمن به، ترتوي روحه إلى الأبد. ولهذا قال المسيح مرّة: «كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ هَذَا الْمَاءِ يَعْطَشُ أَيْضًا. وَلَكِنْ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الْأَبَدِ، بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعَ مَاءٍ يَنْبُعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» (بشارة يوحنا ٤: ١٣-١٤). أجل، إن من يشرب من هذا الماء أي ماء هذا العالم المادي الفاني من مال

وممتلكات وملذات لن يرتوي أبداً. لكن عندما يشرب من الماء الحي الذي يقدمه المخلص المسيح فلن يعطش إلى الأبد. والسبب لأنه يروي روحه من الداخل. أي تماماً كما قال المسيح للجموع عن الطعام الباقي إلى الأبد الذي يُشبع النفس.

لعلّ السؤال الآن: أين نجد هذا الماء الحي الذي يقدمه المخلص المسيح؟ وللجواب نقول: إننا نجده عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح. كما قال المسيح للجموع في عصره: «أَنْ تُوْمِنُوا بِالَّذِي هُوَ أَرْسَلَهُ». أي نؤمن بالمسيح الذي أرسله الله لخلاص الإنسان. نعم، إن خلاص الله هو مجاني وبدون ثمن لكل من يؤمن بالمخلص المسيح. فمهما كانت خطايا الإنسان عظيمة ومتنوعة، ومهما كان بعيداً عن الله، فبمجرد إيمانه بالمسيح الذي مات من أجله على الصليب، ينال الغفران عن خطايا، ويصبح من أولاد الله بحلول الروح القدس في قلبه. هذا هو الماء الحي الذي يبقى إلى الأبد.

وماذا عنك مستمعي؟ ألم تتعب من أمور هذا العالم المادي الفاني؟ أو لم تحصد من سعيك وراءها إلا الخيبة واليأس والمرارة؟ ما عليك إلا أن تؤمن بالمسيح المخلص الفريد، فهو وحده القادر أن يجلب الراحة والاطمئنان إلى حياتك، وتختبر معنى السعادة الحقّة، فهو الماء الحي الذي يهبك أيضاً الحياة الأبدية.